

من كتاب (حكاية الينابيع) المقامة المِغْزَلِيَّة

كتاب (حكاية الينابيع) الذي يوثق مسيرة (منتدى الينابيع الهَجَرِيَّة) خلال أربعة عقود منذ تأسيسه عام 1407هـ ، يزخر بالحكايا الشيقة و الأشعار الطريفة ، لأنه و بكل بساطة يؤرخ علاقة مجموعة من الشعراء الطرفاء المخلصين في مودتهم والمخلصين لأدبهم .

و من أطرف تلك الحكايا حكاية (المقامة المِغْزَلِيَّة) ، التي كتبتها من باب التنويع ، وربما من باب استكشاف القدرة على مجازاة من أبدعوا في هذا الفن ، و على أثر معرفتنا و تواصلنا بالمرحوم الشيخ إبراهيم الغراش من القطيف الذي كان مفتونا (بمقامات الحريري) مما دعاني شخصيا لإعادة قراءتها مجددا . وهي كنز ثمين لطلاب المهارات اللغوية والأدبية ، و كانت مقررة حفظا على طلاب الحوزة العلمية في النجف الأشرف يوما ما .

فحدث أن تغيب الأخ الشاعر الشيخ عبد الله بن محمد السعد عن إحدى جلسات المنتدى - لذهابه في رحلة مع بعض الصبية الذين كان يعطيهم دروسا في المسجد - في وقت كثر فيه غياب بعض الزملاء من شعراء المنتدى الذين لم يكن يفلت واحد منهم دون جلد بقصيدة أو ببضعة أبيات تعيده إلى جادة الانضباط ، وكان نصيب الشيخ عبد الله السعد هذه المرة هذه المقامة الموشاة ببعض الأبيات الشعرية على نهج (الحريري) في مقاماته الشهيرة .

المقامة المِغْزَلِيَّة ..

(من العاتب الموجود، ناجي بن داود، إلى ناكث العهد، عبد الله بن سعد، السلام على من اتبع الهدى
أما بعد :

فويحك يا بن سعد، أضاقت الدهر بيومٍ تعبث فيه مع صبيتك ، ونهارٍ تتقلب فيه معهم في صبتك، عن
سويغاتٍ تتشرف فيها بلقاء صحبتك ؟ فصعرتَ خدك غير مكترثٍ بميعاد، ولا بمن ينتظرونه على
شوك القتاد، ولا بمن يقطعون له طول البلاد:

يحثون للعَلْيَا النفوسَ بهمةٍ ...

تري رفعةَ الجوزاءِ دون مُرادِها

ويُزجُون للآمالِ كلَّ جَلودةٍ ...

لها العيدُ في البَيدا و قطعِ وهادِها

أَمْ تراك وليت شعري - لذلك قاصدا ؟ ولتشتيت ما التأم من الشمل عامدا ؟ وليبعةٍ في عنقك للقريض
جاحدا ؟ وما أخالك وأيُمٍ إلا كائدا ، فما عهدتك عن مصاعد الشرف شاردا ، ولاعن مسالك الحق
حائدا ، ألا تخافُ أنت ومَن شاكلك في دربٍ أجاهد لرسمه ؟ ودُرٍ أجالدُ لنظمه ؟ وثقلِ أكابد
لضمِّه ؟ ويَحْكُمُ .. أغزلُ وتنكثون ؟ وأبني وتهدمون ؟ كأنكم بعذابي في الأرض موكِّلون !!

فإنْ قلتُ شرقًا فلتمْ الغرب قصدُنا ...

وإنْ قلتُ غربًا صار مقصدكم شرقًا

أكاد وإيَّاكم على لُجَّةِ الذَّوى ...

بريح التَّجافي أنْ نكون بها غرقى

وإعلم يا عبدُ أني ما خصصتك بهذا العتب عابثًا ، ولا لحديث الفكاهة باعثًا ، ولكن إنْ
انفرط عقد هذا الجمان من بين يديَّ ويديك ، لما كان أخرى بالعتب مني إلا عليك ، لأنني لما طنَّبتُ
هذه الخيمة بأركان الأدب ، وأوتاد البيان ، جعلتُك عمودَ وسطِها ، ولؤلؤةَ سَفَطِها .

وعلاقتُ آمالي العريضةَ كلها ...

عليك يقينًا أنْ تحقِّقها معي

وما خلتُ يومًا أن يكون إلى التباريح

.. أشكو من صدودك مفزعي !

فانظر رحمك الله إلى ماذا يؤول الرأي في غيبة عميده ، والجمع في خيبة عقيده ، والسيف في نبوة حديده ، أو بعدما اطمأن الفؤاد بجمعكم ، وأمرعت البلاد بنفعكم ، أرهت ألمحت ؟ وأشرت مصرحت ؟ وكنت فأصبحت ؟ هيهات.. هيهات.. فوالذي أنزل الحياة ، وأنبت النبات ، وجمع الشتات ، بجدّه أقسم ، وبمجده أعظم ، وبعهده ألزم :

ستلتذّ مني لو بقيت بفسحة...

تروغ بها عمّا أنا لك راسمّه

إذا قيل أعلام البلاغة نكّست...

ونودي : ناجي الحرز فُلّت عزائمّه

فضع قلبي هذا نصب عينيك وعلقه قرطاً في أذنيك ولا تأسفن من تفريطك إلا عليك والسلام